



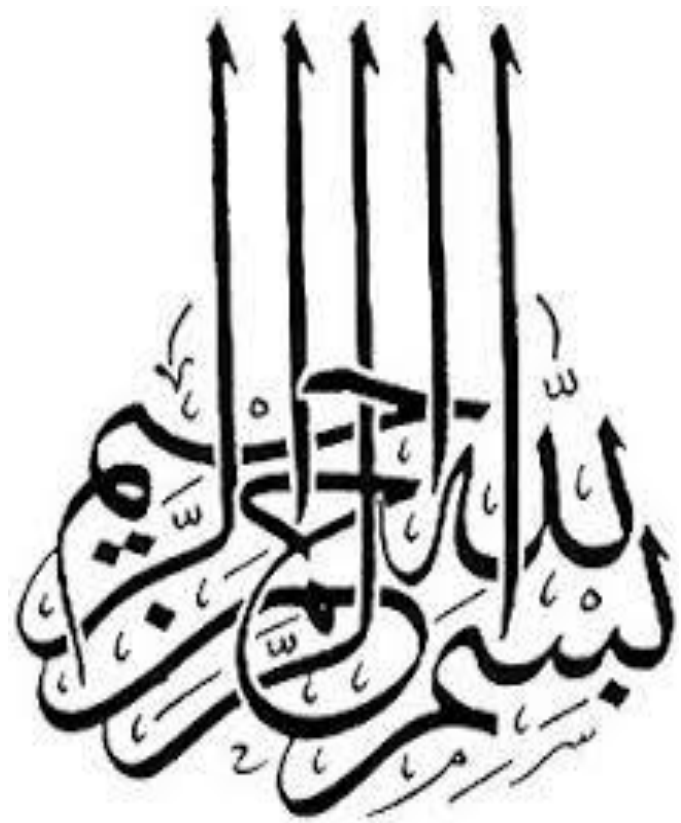
المملكة العربية السعودية
الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن بريدة
معهد الفتيات للقرآن الكريم
الدبلوم العالي

حاسة السمع البشري في القرآن

إعداد الدارسة:
خولة بنت خالد الغرير

إشراف الأستاذة:
عبير الشبرمي

١٤٣٩ هـ



الإهداء

إلى مَنْ أمرني الله ببرهما، والإحسان إليهما، وطاعتهما، إلى والديّ الكريمين.
إلى كل مَنْ علمني حرفاً وسانديني ووجهني، وناولني يمينه وساعدني.
إلى أستاذتي الفاضلة: عبير الشبرمي، تقديراً لجهودها معي، واعترافاً بفضلها بعد الله
عليّ، التي بذلت لي من وقتها الكثير، وأفادتني بعلمها الغزير، وأرشدتني برأيها
السديد، مما كان حافزاً قوياً لي على إتمام هذا البحث، والصبر على مشقته، فجزاها
الله خير الجزاء. لكم أهدي هذا البحث المتواضع راجيةً من المولى القبول والسداد.

خولة الغرير

المقدمة

الحمد لله أسبغ النعم، وكفى النقم، تفضّل على المحسن بالأجر، وعلى المسيء بالمغفرة والسيتر، من توكل عليه كفاه، ومن سأله أعطاه، لا معبود بحق سواه، ثم الصلاة على النبي المهداة، والنعمة المسداة، محمد وآله وصحبه ومن والاه، إلى يوم يُحشّر العبد لمولاه، فيسرّ من اهتدى بهداه، ويندم من فرط وعصاه أما بعد ...

فقد اهتم القرآن الكريم كثيراً بالسمع وقدمه على باقي الحواس، وامتق به على الإنسان، ومازالت الأذن سرّاً من أسرارِ صنعة الله عزوجل، ومازالت آية دالة على عظمتِه سبحانه. وما قد كان سبباً في اختيارِ موضوع البحث هذا لاتصاله بحافظ القرآن، القارئ له المستمع إليه على كل أحواله، وبما رأيتُه يتوافق مع رغبتِي وميولي تبعاً لتخصصي الجامعي.

فما لهذه الحاسة من أهمية إذ تُعد أهم وسيلة من وسائل التعلم والإدراك، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النحل: ٧٨. وحين يبدأ الله سبحانه وتعالى بشيء ويقدمه على غيره يكون لذلك دلالة، والنبي صلى الله عليه وسلم لما بدأ بالسعي بين الصفا والمروة بدأ بالصفا وقال: أبدأ بما بدأ الله به، فالبدء بما بدء الله به يدل على أهميته، فالأذن تمكنا من السمع وحاسة السمع لا شعورية، أي أننا نسمع في الليل والنهار وفي النوم واليقظة لأنها لا تنام. (١)

ولأهميته كان من دعائه صلى الله عليه وسلم: (اللهم متّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوّتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منّا) (٢) ومع كون المعافاة في البدن تتضمن المعافاة في السمع والبصر، إلا أن تخصيص السمع والبصر بالذكر بعد التعميم، يدل على الأهمية الزائدة لهاتين الحاستين.

والمعروف علمياً أنه يحدث ضعف سمع عصبي مضطرب متماثل في كلتي الأذنين في بعض الناس فوق سن ٦٠ سنة، وهذا الضعف يحدث في أكثر من ثلث البشر فوق ٧٥ سنة. ولذلك دعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه أن يحفظ عليه سمعه وبصره ويمنّعه بهما؛ حتى يكون هو الوارث منه أي: ألا يفقد حواسه قبل موته، بل يموت وهو مكتمل لجميع الحواس. (٣)

(١) انظر: حاسة السمع في القرآن العزيز، عبدالقادر شحرور، <https://saaid.net/minute/251.htm>

(٢) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ماجاء في جامع الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ح ٣٥٠٢.

(٣) انظر: حاسة السمع بين القرآن الكريم والعلم الحديث، د. حسني حمامة، <http://www.alukah.net/culture/0/71585/>

وليس بمُستنكر من مواجهة الصعوبات، فلا بد من مواجهة صعوبات في أي عمل، وقد واجهتني في كتابة هذا البحث بعضٌ منها، من ضيق وقت، وتعددٍ للتكاليف، وعدم توفر الجهاز المناسب لكتابة البحث، والحمدُ لله على إعانتِهِ وتيسيره في الأولى والآخرة.

وقد كانت خطة البحث كالتالي:

*المبحث الأول: معنى السمع في القرآن الكريم.

*المبحث الثاني: الأدلة الواردة في السمع.

- المطلب الأول: الآيات القرآنية.

- المطلب الثاني: الأحاديث النبوية.

*المبحث الثالث: حكمة تقديم السمع على البصر في الآيات.

*المبحث الرابع: أهمية المحافظة على الأذن.

*الخاتمة.

*الفهارس.

ولا أنسى في مقامي هذا شكر كل من أعانني ووجهني وصبر معي بدءاً من أهلي وختاماً بصديقاتي. وفي الأخير أسأل الله جلّ في علاه أن يجعل هذا خالصاً لوجهه، وأن يعصمنا من الزلل والخطأ، وأن يتجاوز عنا بفضلِهِ، فهو وليُّ ذلك والقادرُ عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

التمهيد

* مصطلحات البحث:

الحواس: هي التي زوّد الله سبحانه وتعالى الإنسان بها، ليطالع الأشياء التي في متناوله على حقيقتها وهي من أعظم نعم الله على الإنسان وفيها من الحكمة والقصد والإرادة، ما يعجز عن وصفه. قال تعالى منبهاً عباده إلى ذلك: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ* ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ* ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ السجدة ٧:٩ (١)

السمع في اللغة: حسُّ الأذن. وفي التنزيل: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ق: ٣٧؛ وقال ثعلب: معناه خلا له فلم يشتغل بغيره. قال اللحياني: وقال بعضهم السمع المصدر، والسمع: الاسم. والسمع أيضاً: الأذن، والجمع أسمع. ابن السكيت: السمع سمع الإنسان وغيره، يكون واحداً وجمعاً. (٢) ويعرف أنه: حسُّ الأذن، والأذن وما وقر فيها من شيء تسمعه. (٣)

ويكون سمع الإنسان واحداً وجمعاً، كقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ البقرة: ٧، لأنه في الأصل مصدر قولك: (سَمِعَ) الشيء بالكسر، وقوله تعالى: ﴿وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ النساء: ٦٤، قال الأَخْفَش: أي لا سمعت. وقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ مريم: ٣٨ أي ما أبصرهم وما أسمعهم على التعجب. (٤)

الأذن: العضو الحسي الذي يُمكننا من السمع، والذي هو أحد أهم الحواس. (٥)

(١) رسالة إلى أهل النغر بباب الأبواب، أبو الحسن، ص ٨٤، ج ١.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ص ٣٦٣، ج ٦.

(٣) انظر: القاموس المحيظ، الفيروزآبادي، ص ٤٠، ج ٣.

(٤) انظر: مختار الصحاح، الرازي، ص ١٥٤، ج ١.

(٥) انظر: حاسة السمع في القرآن العزيز، عبدالقادر شحرور، <https://saaaid.net/minute/251.htm>.

المبحث الأول

معنى السمع في القرآن الكريم

يتضمن السمع ثلاث درجات معروفة في علم وظائف الأعضاء، وقد ذكرت في كتاب الله، فأولها: الإحساس بالصوت دون فهم وهذا المذكور في قوله: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ البقرة: ١٧١.

وثانيها: هي الإحساس بالصوت مع الفهم وذلك في قوله: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٧٥.

وثالثها: الإحساس بالصوت مع الفهم بالإضافة إلى الاقتناع والإيمان والطاعة وهي أعلى درجات السمع التي تُمنح للمؤمنين كما في قوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ الأنعام: ٣٦. فهذه المعاني الثلاث تتوافق مع ما هو معروف في علم وظائف الأعضاء من الإحساس بالصوت والتمييز والفهم والوظائف العليا الأخرى للمخ التي تتضمن العواطف والإرادة والتصرفات. والقرآن العزيز فرق بين السمع والاستماع والإصغاء والإنصات بطريقة بليغة ودقيقة ومناسبة للموقف:

فالسمع يكون بقصد ومن دون قصد، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ القصص: ٥٥، والاستماع يكون بقصد من أجل الاستفادة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ الأحقاف: ٢٩ والإصغاء: حيث التركيز وتفاعل القلب والمشاعر، قال تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ التحريم: ٤ والإنصات هو ترك الأشغال والسكوت والتفرغ للاستماع، ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الأعراف: ٢٠٤.

وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا قرأ فأنصتوا".^(١)

وأما السمع في الآخرة فقد ذكر القرآن أنه من وسائل التعميم والتكريم للمؤمنين وأن الحرمان منه من أنواع العذاب المعدة للكافرين. فلما كان المؤمن هو المستفيد بسمعه في الدنيا وهبه الله أفضل

(١) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، ح ٤٠٤.

السمع بالآخرة فقال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا فَيْلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ الواقعة ٢٥: ٢٦ .
ولما عطل الكافر سمعه بالدنيا حرمه الله السمع في الآخرة، قال تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ الأنبياء: ١٠٠ . ومن إعجاز القرآن ذكره بأن وظائف الجسم الحيوية كلها تتقهقر بتقدم العمر كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ يس: ٦٨ . وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سجد يقول: (اللهم لك سجدتُ وبك آمنتُ ولك أسلمتُ سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين) (١) ولما كانت الأذن هي الحاسة المكتملة وحدها عند الولادة كان من سنته صلى الله عليه وسلم أنه يؤذن في أذن المولود، (٢) كما في الحديث الذي رواه الترمذي عن عبيد الله أبي رافع عن أبيه قال: " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة " . (٣)

يقول ابن القيم: رحمه الله في كتابه تحفة المودود بأحكام المولود: وسر التأذين والله أعلم: أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلحق كلمة التوحيد عند خروجه منها. (٤)

ويبقى الشرف العظيم للأذن حين وصف الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأذن الخير عندما أراد المنافقون أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا عنه: هو أذن؛ أي: سمع لكل قول يجوز عليه الكذب والخداع، ولا يفتن إلى غش القول وزوره، من حلف له صدقه، ومن دس عليه قولاً قبله، فأخذ الله كلامهم؛ ليجعل منه ردا عليهم: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ التوبة: ٦١ . نعم هو أذن الخير للناس يستمع إلى الوحي، ثم يبلغه لكم، وفيه خيركم وصلاحكم، وأذن خير يستمع إليكم في أدب ولا يجبهكم بنفاقكم ولا يرميكم بخداعكم، ولا يأخذكم بريائكم. يؤمن بالله فيصدق كل ما يخبره به، ويؤمن للمؤمنين، فيطمئن إليهم ويتق بهم؛ لأنه يعلم منهم

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ح ٧٧١ .

(٢) انظر: حاسة السمع في القرآن العزيز، عبدالقادر شحرور، <https://saaid.net/minute/251.htm> .

(٣) سنن الترمذي، كتاب الأضاحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب الأذان في أذن المولود، ح ١٥١٤ .

(٤) ص ٣٨ .

صدق الإيمان الذي يعصمهم من الكذب والالتواء والرياء ﴿وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ التوبة: ٦١
يأخذ بيدهم إلى الخير ويبعدهم عن الشر ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ التوبة: ٦١،
وهي غيرة من الله على رسوله صلى الله عليه وسلم أن يؤذى. (١)
فبالسمع نُحَسُّ بالأصواتِ من حولنا ونَعِيهَا ونَعْقِلُهَا، فإن كان من خيرٍ انقَدنا إليه واستجبنا، وإن
كان ماسواهُ أَعْرَضنا وانتَهينا، ولا أسمى وأرفع من استماع القرآن والإنصاتِ إليه وفهم معانيه والعملِ
بما جاء فيه.

(١) انظر: حاسة السمع بين القرآن الكريم والعلم الحديث، د. حسني حمامة، /0/71585/culture/www.alukah.net

المبحث الثاني

الأدلة الواردة في السمع

المطلب الأول: الآيات القرآنية:

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ يونس: ٣١

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ النحل: ٧٨

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ الإسراء: ٣٦

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ المؤمنون: ٧٨

﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ الشعراء: ٢١٢

﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ السجدة: ٩

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ق: ٣٧

﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ الملك: ٢٣

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ الأنعام: ٤٦

﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ فصلت: ٢٢

﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ الكهف: ١٠١

وقد ورد ذكر كلمة السمع ومشتقاتها: مائة وخمسة وثمانين مرة في القرآن الكريم، وتكرر تقديم السمع على البصر في جميع الآيات التي تتحدث عن خلق الإنسان.

المطلب الثاني: الأحاديث النبوية:

حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " نَصَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي ، فَوَعَاها وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، ثَلَاثٌ لَا يُعْلَمُ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ ، وَمُنَاصَحَةُ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ " .^(١)

- نصّر: بتخفيف الضاد وتشديدها. والنصرة: هي النعمة والبهاء يكون على الوجه.

وفي هذا الحديث دعا النبي صلى الله عليه وسلم بالنضارة، والحسن، والروتق، والبهاء لمن سمع حديثه فحفظه حتى يبلغه لغيره، لأن مهمة تبليغ دين الله تعالى هي مهمة النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه، فكل من قام بحمل هذا العلم والدعوة إليه وتبليغه للآخرين ولو كانوا أفقه منه وأعلم أصابته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) سنن الترمذي، الجامع الصحيح، باب ماجاء في الحث على تبليغ السماع، ح٢٦٥٨.

المبحث الثالث

حكمة تقديم السمع على البصر في الآيات

مما مسّه القرآن مسًا دقيقًا هو الجسم البشري وعلم الأعضاء، الله سبحانه وتعالى يذكر الأذن دائماً قبل العين، يقول الله ﴿ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ﴾ السجدة: ٩، ولا يقول البصر والسمع.

إن هذا إعجاز في القرآن، لقد قدم الله سبحانه وتعالى السمع على البصر؛ لأنه أول ما يؤدي وظيفته في الدنيا؛ ولأنه أداة الاستدعاء في الآخرة؛ لأن الأذن لا تنام أبداً.

و السمع أول عنصر يؤدي وظيفته في الدنيا، فالطفل ساعة الولادة يسمع ولكن العين لا تؤدي مهمتها لحظة مجيء الطفل في الدنيا، هذه واحدة.

وإذا نام الإنسان فإن كل شيء يسكن فيه إلا سمعه، هذه الثانية.

أما الثالثة: فهي أن الأذن هي الصلة بين الإنسان والدنيا، الله سبحانه وتعالى حين أراد أن يجعل أهل الكهف ينامون مئات السنين قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ الكهف: ١١، ومن هنا عندما تعطل السمع استطاعوا النوم مئات السنين من دون أي إزعاج، ذلك أن ضجيج الحركة في النهار يمنع الإنسان من النوم العميق، وسكونها بالليل يجعله ينام نومًا عميقًا. (١) و فن التقديم والتأخير فن رفيع يعرفه أهل البصر بالتعبير والذين أوتوا حظًا من معرفة مواقع الكلام وليس ادعاء يُدعى أو كلمة تقال، ولم يكتف القرآن الكريم في وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي وردت فيه بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كله، فترى التعبير متنسقًا متناسقًا مع غيره من التعبيرات كأنه لوحة فنية واحدة متكاملة متكاملة.

ومن ذلك تقديم السمع على البصر قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ الإنسان: ٢ فقدم السمع على البصر، وقال: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَجْرُوا عَلَيْهَا ضَمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ الفرقان: ٧٣، فقدم الضم وهم فاقدوا السمع على العميان وهم فاقدوا البصر. قالوا: لأن السمع أفضل. قالوا: والدليل على ذلك أن الله لم يبعث نبيًا أصم، ولكن قد يكون النبي أعمى كيعقوب عليه السلام فإنه عمي لفقد ولده. والظاهر أن السمع بالنسبة إلى تلقي الرسالة أفضل من البصر، ففاقد البصر يستطيع أن يفهم ويعي مقاصد الرسالة فإن مهمة الرسل التبليغ عن

(١) انظر: المعجزة الخالدة، الشعراوي، ص ٨٣، ج ١.

الله، والأعمى يمكن تبليغه بها ويتيسر استيعابه لها كالبصير، غير أن فاقد السمع لا يمكن تبليغه بسهولة. فالأصم أنأى عن الفهم من الأعمى، ولذا كان من العميان علماء كبار بخلاف الصُّمِّ، فلكون متعلق ذلك التبليغ كان تقديم السمع أولى.

ويمكن أن يكون تقديم السمع على البصر لسبب آخر عدا الأفضلية، وهو أن مدى السمع أقل من مدى الرؤية، فقدم ذا المدى الأقل متدرجًا من القصر إلى الطول في المدى، ولذا حين قال موسى في فرعون: ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّنا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ طه: ٤٥، قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ طه: ٤٦، فقدم السمع لأنه يوحى بالقرب إذ الذي يسمعك يكون في العادة قريبًا منك بخلاف الذي يراك فإنه قد يكون بعيدًا وإن كان الله لا يند عن سمعه شيء. (١)

فالأذن مُفضلة على العين ومُقدمة عليه لأنها لاتنام أبدًا، ولاتتوقف، فهي تؤدي مهمتها ليل نهار، بخلاف البصر! فلو كانت الدنيا ظلامًا فإن العين لاترى، فتبارك الله أحسن الخالقين.

(١) انظر: التعبير القرآني، السامرائي، ص ٥٣، ج ١.

المبحث الرابع

أهمية المحافظة على الأذن

تعتبر الأذن عضوًا من جسم الإنسان يُمكنه من سماع الأصوات وتمييزها، ويحافظ على توازن الجسم. من أدب الحديث خفض الصوت كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ لقمان: ١٩، وفي هذا إشارة إلى أثر الضوضاء ورفع الصوت على الأذن، وفي آية أخرى يسمي الله تعالى يوم القيامة بالصاخة؛ حيث قال: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ عبس: ٣٣.

وهذه الكلمة ذات الحروف الأربعة تدل على أربعة معان: الأول: على يوم القيامة، والثاني: كون يوم القيامة يبدأ بصوت، والثالث: كون هذا الصوت مرتفعًا، والرابع: هو أثر هذا الصوت في أذن من يسمعه، وأنه يذهب بسمعه.

وربما كانت هذه الآية أول ما عرفه الإنسان عن أثر الضوضاء في الذهاب بسمع الإنسان. والمعروف أن التعرض للضوضاء يؤدي إلى التعود ثم إذا زاد التعرض في المدة أو الشدة، حدث ضعف مؤقت في السمع فإن زاد أكثر أدى إلى ضعف مستديم في السمع. ومن الناحية التشريحية: فإن التعرض للضوضاء يؤدي إلى فقد بعض الخلايا الشعرية المسؤولة عن السمع في الأذن الداخلية وتغيّرات في الإمداد الدموي للقوقعة بالأذن الداخلية. (١) فلا بدّ حينئذ للإنسان أن يحافظ على سلامة أذنيه لأهميتهما في السمع، حيث إنّ أيّ إهمال قد يؤدي إلى فقدان السمع لا قدر الله، فالأخطار التي قد تصيبها كثيرة ومتنوعة، ومنها أن يدخل أي جسم غريب إليها، كما يُمكن أن تصاب بالالتهابات نتيجة عدوى مُعيّنة بأحد الفيروسات والبكتيريا. وللمحافظة عليها عدة وسائل منها: الوقاية من شمع الأذن، وهو عبارة عن مادة لزجة صفراء اللون وأحياناً يميل لونها إلى البني، وأحياناً تكون مائلة إلى السواد، وهي موجودة بسبب تراكم الإفرازات الدهنية من الأذن الخارجية، بالإضافة إلى تجمع بعض الخلايا الميتة والأغبرة والمواد الأخرى، ووجودها أمر طبيعي ومهم، ولكن بنسبٍ وكميّاتٍ محددة، ويمكن التخلص من هذا التراكم بشكل كبير من خلال تنظيف الأذن الخارجية بواسطة منديل قطني ناعم والابتعاد عن استعمال العيدان؛ لأنّها تجعل بالشمع

(١) انظر: حاسة السمع بين القرآن الكريم والعلم الحديث، د. حسني حمامة، <http://www.alukah.net/culture/0/71585/>

يندفع للداخل، وبالتالي تضر طبلة الأذن وتتؤثر على السمع سلبياً، مع العلم أنّ الاستعمال المتكرر يُزيل الطبقة الشمعية الواقية، الأمر الذي يؤدي إلى تدمير الطبقة الخارجية للقناة السمعية، وتكون بعد ذلك أكثر تعرّضاً للالتهابات بسبب تجمع الأوساخ والجراثيم.

ومن الطرق كذلك:

- الابتعاد عن الضجيج والضوضاء واستخدام سدادات الأذن.
 - تجنّب الاستماع للأصوات المرتفعة الصادرة عن المذياع أو التلفاز.
 - التقليل من حدة صوت الأجهزة المستخدمة.
 - المداومة على إجراءات الفحص الدوري لسلامة الأذن والاطمئنان عليها.
 - تجنّب ثقب الأذن أكثر من ثقب، لما في هذا من ضرر على الأذن؛ بسبب الأمراض التي قد تنتقل لها خاصة في غياب العناية بالأذن أثناء وبعد عملية الثقب.
 - حماية الأذن من التعرض لأشعة الشمس بشكل مباشر؛ من خلال استخدام واقيات الشمس والكريمات الخاصة، لأن الأذن مُعرّضة لخطر الإصابة بسرطان الجلد مثل بقية أجزاء البشرة. (١)
- ومما يحسن ذكره في هذا المقام المحافظة على الأذن واستعمالها بما يُرضي الله عزوجل والابتعاد عن كل ما نهى عنه أو حذر منه رسوله صلى الله عليه وسلم من الاستماع لآلات اللهو، والغيبة، والنميمة وكل ماشأته التفرقة بين صفوف المسلمين، والإكثار من سماع كلامه سبحانه وكل ما هو طيّب حسن نافع للمرء في دينه ودنياه.

(١) انظر: وسائل المحافظة على الأذن، علا العناني، <http://mawdoo3.com>

الخاتمة

وبعد الحديث عن حاسة السمع البشري في القرآن، ومما امتنَّ الله به سبحانه على الإنسان بهذه النعمة العظيمة، وتأثيرها على ما يتلقاه من مختلف العلوم والمعارف، توصلت إلى ما يلي من النتائج:

– أولاً: أن لحاسة السمع أهمية كبرى حيثُ قُدمت على البصر في العديد من الآيات في كتاب الله.

– ثانياً: الأذن هي الحاسة الوحيدة المكتملة عند ولادة الإنسان، لذا كان من سنته صلى الله عليه وسلم أن يؤذن في أذن المولود.

– ثالثاً: أن الأذن مُفضلة على العين لأنها لا تنام أبداً ولا تتوقف بخلاف البصر.

– رابعاً: وجود شمع الأذن هو أمرٌ طبيعي ومهم لحماية أذن الإنسان مما قد يلحقه بالأضرار

والأمراض.

– خامساً: عجز الإنسان وقصوره في سماع الأصوات من حوله، وهو من رحمة الله به، حيث أن له مدى مُحدد لا يمكنه سماع ما تجاوزَ هذا الحد، ولا ما قلَّ عنه، فسبحان الله رب العالمين.

ختاماً: ما كان في هذا البحث من صوابٍ فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي

والشيطان. وصلى الله وسلم على هادي البشرية، وخير البرية، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهارس

فهرس الآيات:

مكان ورودها في البحث	اسم السورة	رقمها	رأس الآية
٤	البقرة	٧	﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾
٥	البقرة	٧٥	﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ... ﴾
٥	البقرة	١٧١	﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ... ﴾
٤	النساء	٤٦	﴿ وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ ﴾
٥	الأنعام	٣٦	﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾
٨	الأنعام	٤٦	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ... ﴾
٥	الأعراف	٢٠٤	﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ... ﴾
٦	التوبة	٦١	﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ... ﴾
٧	التوبة	٦١	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ... ﴾
٧	التوبة	٦١	﴿ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ﴾
٨	يونس	٣١	﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ... ﴾
٨, ٢	النحل	٧٨	﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ... ﴾
٨	الإسراء	٣٦	﴿ وَلَا تَفُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ... ﴾
١٠	الكهف	١١	﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ... ﴾
٨	الكهف	١٠١	﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ... ﴾
٤	مريم	٣٨	﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾
١١	طه	٤٥	﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ... ﴾
١١	طه	٤٦	﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا... ﴾

حاسة السمع البشري في القرآن

٦	الأنبياء	١٠٠	﴿ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ... ﴾
٨	المؤمنون	٧٨	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ... ﴾
١٩	الفرقان	٧٣	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ... ﴾
٨	الشعراء	٢١٢	﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴾
٥	القصص	٥٥	﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾
١٢	لقمان	١٩	﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ... ﴾
٤	السجدة	٩:٨:٧	﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ... ﴾
١٠,٨	السجدة	٩	﴿ تُمْ سَوَاءُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ... ﴾
٦	يس	٦٨	﴿ وَمَنْ نَعْمِرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ... ﴾
٨	فصلت	٢٢	﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ... ﴾
٥	الأحقاف	٢٩	﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ... ﴾
٨,٤	ق	٣٧	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ... ﴾
٦	الواقعة	٢٦:٢٥	﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا... ﴾
٥	التحریم	٤	﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾
٨	الملك	٢٣	﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ... ﴾
١٠	الإنسان	٢	﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ... ﴾
١٢	عبس	٣٣	﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ﴾

فهرس الأحاديث:

مكان ورودها في البحث	الراوي	رأس الحديث
٥	مسلم	"إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامَ لِيُؤْتَمَّ بِهِ..."
٦	الترمذي	"رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُذَّنَ..."
٦	مسلم	"اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتَ..."
٢	الترمذي	"اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا..."
٩	الترمذي	"نَصَّرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَي..."

فهرس المصادر والمراجع:

- ١ . القرآن الكريم.
- ٢ . شاكرا، أحمد، (ط١ - ت٢٧٩)، الجامع الصحيح، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٣ . النووي، (ط٣ - ت٢٦١)، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ٤ . السامرائي، فاضل، (ط٦ - ج١)، التعبير القرآني، دار عمار، عمان.
- ٥ . الشعراوي، محمد، (ط١ - ج١)، المعجزة الخالدة، الدار النموذجية، بيروت.
- ٦ . الفيروزآبادي، مجد الدين، (ط١ - ج٣)، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت.
- ٧ . ابن منظور، (ط٣ - ت٧١١)، لسان العرب، دار أحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ٨ . الرازي، زين الدين، (ط٥ - ت٦٦٦)، مختار الصحاح، الدار النموذجية، بيروت.
- ٩ . الأشعري، أبو الحسن، (ط١ - ت٣٢٤)، رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، عمادة البحث العلمية بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
- ١٠ . حاسة السمع في القرآن العزيز، عبدالقادر شحرور، صيد الفوائد،
<https://saaid.net/minute/251.htm>
- ١١ . حاسة السمع بين القرآن الكريم والعلم الحديث، د. حسني حمامة، شبكة الألوكة،
<http://www.alukah.net/culture/0/71585/>
- ١٢ . وسائل المحافظة على الأذن، علا العناني، موضوع، <http://mawdoo3.com>

فهرس المحتويات :

١	الإهداء
٢	المقدمة
٤	التمهيد
٥	المبحث الأول: معنى السمع في القرآن الكريم
٨	المبحث الثاني: الأدلة الواردة في السمع
٨	أولاً: الآيات القرآنية
٩	ثانياً: الأحاديث النبوية
١٠	المبحث الثالث: حكمة تقديم السمع على البصر في الآيات
١٢	المبحث الرابع: أهمية المحافظة على الأذن
١٤	الخاتمة
١٥	فهرس الآيات
١٧	فهرس الأحاديث
١٨	فهرس المصادر والمراجع
١٩	فهرس المحتويات